قلت ـــ قيل : رب أخ لك لم تلده أمك . وانا اقول : رب والد لك لم تتزوجه أمك .

قالت : رحمها الله ، انت في ايش ونحن في ايش .

فقلت : فما أبقاك معي ، اذن ، وأين السائق ؟

فأخبرتني بأننا ، حين وقعنا من السيارة وكانت ، سلم الله ، تسير بطيئا ، غبت عن الوعي دون أذى . وأما يعاد ، « شكرا لك يا والدي » ، فقد كنت احوطها بذراعي فوقعت على صدري فلم تتأذ . فهرع نحونا رجال ونساء من قـــرية السلكة ، كانوا يعملون في اراضي الكيبوتس القريبة من موقع وقعتنا . وكان على رأسهم مضيفنا ابو محمود الذي أكرم وفادتنا وسافر معنا الى قريته ، فبيته ، حيث وجدوا انني غائب عن الوعي اعياء فحسب . فتركوني أستريح حتى أتماثل .

وأما سائق السيارة ، وهو صاحبها ، فهو صديق كريم الا انه اضطر للعودة الى نابلس ، فانه محظور عليه المبيت في اسرائيل وسيارته معه . وقد تركنا وهو شديد التأثر مما بدا منه من اهمال . فقد توهم انه هو المسؤول عن سقوطنا حين لم يحكم باب السيارة اغلاقا .

فأحكمت اغلاق فمي عن هذا الوهم خوفا من وقعة أخرى .

أما يعاد فآثرت البقاء معي حتى يعود اليّ رشدي فأعيد اليها أخاها سعيدا الذي جاءت الى شطة من بيروت تبحث عنه .

ـــ وسجين زندة المقيم (الذي هو أنا) ، يا يعاد ، ألا تعودين اليه ؟

ـــ الآن ، يا والدي ، وقت العشاء . ثم وأكرم الناس الكرام الذين اكرمونا .

وأقبل أهل الدار يسلمون على القادمين « من عند العرب » . وكانوا يؤهلون بنـــا تأهيلا عظيما ، ويتلقفون كل كلمة نقولها بحرص شديد كما لو انها بضاعة نادرة مهربة . وتولت يعاد الرد على أسئلتهم . وأما أنا فاكتفيت بالقيام وبالقعود وبيا حيى اللـــه وبالسلام عليكم ، خوفا من أن يتعثر لساني بكلمة في غير موقعها فأقع .

وكانت يعاد بين الرجال رجلا . حسنها شباب ، وشبابها حسن وأحسنهما المامها الحسن بحديث الرجال . وكنت أنظر نحوها مأخوذا بها ، فأسمع الرجال يدعون الله أن يبقيها لي فأحمده وأدعو له وأغض الطرف عن سري .

وقالوا انهم كتموا أمرنا ، ما وسعهم الكتمان ، عن بقية أهل القرية حذر الوشاة وأن يكون قدومنا غير قانوني .

وأخبرنا أبو محمود ، وهو رب البيت ، بأن القرية وقعت ، قبل عام ، في الطوق سبعة أيام بحثا عن متسللين . فلما لم يجدوهم اقتادوا أربعة عشر رجلا الى السجن وفكوا الطوق عن القرية .

فما هو الطوق ؟

قال : يقوم البوليس بتطويق القرية ويسد منافذها ويفرض منع التجول فيها . ثم تهدر سياراته المصفحة في أزقة القرية . وينتشرون ، وفي أثرهم كلاب الاثر ، يدخلون البيوت ويروعون الاطفال ويدلقون خوابي الزيت على عدل الطحين خوفا من ان يكون المتسللون قد تسللوا الى الخوابي والعدل . فاذا سمعنا صراخا في بيت تسللنا اليه في حلكة الليل ، فليل القرية حالك ، وهذا حاله عشرين عاما ، يسدلونه سترا لهم فنتستر